الفصل الثالث
واقع الوقف الإسلامي في إثيوبيا (الحبشة)

ويشتمل على تمهيد وأربعة مباحث، فالتمهيد في نبذة عن إثيوبيا ولمحة عن واقع الوقف في أفريقيا السوداء.

المبحث الأول: نشأة الوقف في إثيوبيا (الحبشة) وأسباب ندرته.

المبحث الثاني: أوقاف الحبشة في الخارج.

المبحث الثالث: صورة ومجالاته القليلة النادرة.

المبحث الرابع: القائمون على الوقف وطرق إدارته.

التمهيد: نبذة موجزة عن إثيوبيا (الحبشة):

إن إثيوبيا – الحبشة – هو أول بلد وطئته أقدام صحابة رسول الله ﷺ بعد الجزيرة العربية في الهجرتين الأولى والثانية.

ولا زال الإسلام يشق طريقه إلى القلوب إلى هذا اليوم حتى وصل إلى سهولها وجبالها وأدغالها فما من منطقة من مناطق الحبشة إلا وللمسلمين وجود وأثر، حتى صار عدد المسلمين اليوم أكثر من نصف السكان وما ذلك إلا لقبول أهلها للإسلام ومحبتهم له بدون إكراه من أحد ولا إغراء من أحد بل لأنه دين يوافق الفطرة والعقول ويدخل القلوب فهو دين الأسود والأبيض والأحمر ودين الرحمة والعدالة والمساواة وفوق ذلك فهو الدين الذي رضيه لنا ربنا وأتم به النعمة على الأمة الإسلامية، قال تعالى: ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا ﴾.

موقع الحبشة:-

تقع في شرق إفريقيا فيما يسمى بالقرن الإفريقي وإن الاصطلاح القديم للحبشة وكذلك السودان يشمل أجزاء كبيرة من شرق إفريقيا عددا من الدول الحالية ارتيريا وجيبوتي والصومال وإثيوبيا الحالية وأجزاء من السودان الحالي، فقد ورد في حديث عائشة ﷺ في صحيح البخاري قالت: دخل على

رسول الله ﷺ وعندي جاريتان تغنيان بغناء بعاث.. إلى أن قالت: وكان يوم عيد يلعب فيه السودان بالدرق والحراب، فإما سألت النبي ﷺ وإما قال تشتهين تنظرين؟ فقلت: نعم، فأقامني وراء خدي على خده وهو يقول دونكم يا بني أرفدة حتى إذا مللت قال حسبك؟ قلت نعم قال فاذهبي[1]، وورد في بعض طرق هذا الحديث عند البخاري بلفظ: رأيت النبي ﷺ يسترني وأنا أنظر إلى الحبشة وهم يلعبون في المسجد[2].

وقوله يا بني أرفدة، قيل هو لقب للحبشة، وقيل هو اسم جنس لهم، وقيل اسم جدهم الأكبر، وقيل المعنى يا بني الإماء[3].

وهذا كله يدل على أن كلمتي السودان والحبشة كانتا تطلقان على هذا الجنس الإفريقي ولعله يشمل جميع الأفارقة السود في المصطلح القديم وبالذات عند أهل الجزيرة العربية لأن الأفارقة الآخرين ليس لهم اتصال مباشر بالجزيرة أو يطلق على شرق إفريقيا، وإن حدود دولة الحبشة في القديم غير مستق لأن تلك الشعوب الكثيرة لا تعيش تحت دولة واحدة بمعنى الكلمة نظرا للحروب الكثيرة التي تقع بين تلك الشعوب[4].

لمحة عن واقع الوقف في أفريقيا السوداء:-

إن الوقف في المجتمعات الإسلامية الإفريقية السوداء غير منتشر وغير معهود لدى الجماهير المسلمة، إذا قارناها بالمجتمعات الإسلامية الأخرى في آسيا بل في دول شمال قارة إفريقيا وهي الدول العربية كمصر والمغرب وغيرهما، ومع هذا التشابه في الدول الإفريقية في قلة الأوقاف وندرتها فهناك تفاوت نسبي فيما بين تلك الدول فبعضها توجد أوقاف ذات قيمة تاريخية ومادية مثل شمال نيجيريا في كانو حيث توجد بقايا الأوقاف من دولة المصلح الشيخ عثمان فودى.

وكذلك في الساحل من دولة كينيا بمباسا، كما أن هناك نموا مطردا للأوقاف في السنوات الأخيرة في بعض الدول مثل جنوب إفريقيا وزمبابوي، وذلك يعود لوجود الجاليات المثقفة التي نقلت هذه

---

(١) البخاري ح/٩٤٩.

(٢) البخاري ح/٩٨٨.

(٣) فتح الباري ٢/٤٤٤.

(٤) دائرة المعارف لبطرس البستاني ٦/٦٧٣ نقلا عن "الثقافة الإسلامية في الحبشة " للأخ عبدالله الخضر ص ٢٨.

السنة إلى تلك البلدان واستطاعت أن تؤسس هيئات وجمعيات أخذت بنظام الوقف واعتمدت على الأسلوب العصري في إدارة تلك المؤسسات، لكنها تحتاج إلى تطوير مستمر لنظام سيرها كما هي بحاجة إلى نقل خبراتها إلى الآخرين والانفتاح معهم.

ويحتاج الأمر إلى استفادة الأفارقة من التجربات الناجحة في هذا الباب من إخوانهم في الدول المجاورة في إفريقيا ومن الدول الرائدة في هذا المجال مثل المملكة العربية السعودية والكويت، وإن هذا التشابه بين المجتمعات الإفريقية في هذا المجال قد أكده المشاركون في الملتقى السادس للأمير بندر بن سلمان آل سعود الذي عقد في رمضان عام ١٤١٨هـ، وحضره ٣١ عالما وداعية من ٢٦ دولة إفريقية من دول إفريقيا السوداء أكدوا على هذا التشابه في قلة الأوقاف وندرتها وغربة هذه السنة في بلدانهم التي وفدوا منها، وكنت أحد المشاركين في هذا الملتقى ممثلا لإثيوبيا وقد تحاورنا كثيرا كما أفدنا من العلماء الأجلاء والمتخصصين في هذا المجال، وقد دعت الوثيقة التي صدرت عن هذا الملتقى إلى إحياء هذه السنة في البلدان التي أهملت فيها ...

هذا وإن الأسباب التي وراء هذه الندرة في تطبيق سنة الوقف تختلف من بلد إلى بلد ولكنها متقاربة متشابهة في العموم.

ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفق طلبة العلم والدعاة للتعاون فيما بينهم لإحياء هذه السنة التي أميتت، وكذلك لنشر السنن الأخرى التي فيها السعادة الدنيوية والأخروية إنه سميع مجيب.

المبحث الأول: نشأة الوقف في إثيوبيا وأسباب ندرته:-

إن بداية نشاة الوقف الإسلامي في إثيوبيا لا نستطيع تحديده بالضبط وإن كان الاحتمال القوي أن بداية ذلك كان بوصول أوائل المهاجرين إلى هذا البلد في السنة الخامسة من البعثة النبوية، وذلك لأن المسلمين حينما ينزلون في القرى والدن يخصصون لهم مكان؟ للمسجد للصلاة فيه فهذا المكان فهو وقف للمسلمين كما هو معروف.

وهذا يدل على أن الوقف بدأ مبكرا ومع هذا يصعب تحديد تلك البداية، لعدم وجود دليل واضح يحدد ذلك، ولأن منطقة الحبشة واسعة جدا لا سيما إذا نظرا إلى الاصطلاح القديم الذي يشمل ما يسمى اليوم بالقرن الإفريقي (إرتريا والسودان وجيبوتي والصومال وإثيوبيا الحالية)، فهذه الرقعة

الواسعة لم تجد العناية الكافية من الدراسات التاريخية العلمية ولا توجد المصادر التي تحـــدد بدايـــات الوقف والرجال الذين أوقفوا فيه تواريخهم.

ومع هذا الإهمال يوجد هناك عدد من المساجد الأثرية التي تعود تاريخها إلى القرن الثالث الهجـــري وما بعده، ومن أوضح ذلك مسجد الشيخ عبدالله الفراديسي في منطقة بالي في أقصى الجنوب الشـــرقي من إثيوبيا في وادي وأبي قرب دوبي في مكان يسمى طوري يقدر أنه يعود بناؤه إلى القرن الثـالث، وفي مدينة هرر التاريخية يوجد مسجد بني في القرن السابع ولا يزال يصلى فيه إلى اليوم، وهذه الأمور تـــدل على أنه كان للمسلمين في الحبشة من القرن الأول مساجد موقوفة تكون محل عبادتهم وتعليمـــهم بـــز وتعتبر بداية نشأة الوقف في الحبشة.

إن ومع أن هذه النشأة قديمة في البلد قدم الإسلام فيه إلا أن الوقف في المجتمع المسلم الإثيوبي غـــير منتشر على الوجه المطلوب الذي ينبغي أن يكون عليه، ونستطيع أن نقول: إنه يندر العمل به، فأغلبيـــة المسلمين لا يفكرون في تبني مشروع الوقف الخيري، فإذا وجد نادرا فهو في مجالات ضيقـــة وبصـــور محدودة، وهذا أمر غريب يمثل شذوذا عن المجتمعات الإسلامية العريقة، ولا أدري ما السبب في ذلـــك؟ مع توافر البواعث على ذلك من التقرب إلى الله تعالى ووجود الحاجة إليه، ومع أن الكتب الإســـلامية وبالأخص الكتب الفقهية كلها تخصص بابا لذكر أحكام الوقف وشروطه، وطلبة العلم يدرسون هـــذا الباب ضمن دراستهم للفقه، لكنها دراسة نظرية بعيدة عن التطبيق.

هل السبب في عدم الانتشار هو عدم تفقيههم الناس لهذا الباب وإرشادهم وحثهم على العلم بمـل في هذا الباب؟ أم الأمر يحتاج إلى قدوة ومثال عملي يطبق تلك الأحكام ثم يقوم الناس بالاقتفـــاء وراءه لا سيما إذا كان ممن له رئاسة وإمامة في العلم أو الحكم؟ ومن هذا الباب دعاء عباد الرحمن "ربنا هب لنـل من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما"ن وإن مجرد وجود الكتب وحده لا يكفي لانتشار العمل بسنة ما قال الحفظ ابن حجر رحمه الله في شرح حديث قبض العلم بموت العلمـــاء: (إن بقـــاء الكتب بعد رفع العلم بموت العلماء لا يغني من ليس بعالم شيئا، فإن في بقية الحديث يعني حديـــث أبي أمامة " فسأله أعرابي فقال: يا نبي الله كيف يرفع العلم منا، وبين أظهرنا المصاحف وقد تعلمنا ما فيـــها وعلمناها أبناءنا ونساءنا وخدمنا؟ فرفع إليه رأسه وهن مغضب فقال: وهذه اليهود والنصـــارى بـــين

أظهرهم المصاحف لم يتعلقوا منها بحرف فيما جاءهم به أنبياءهم")[1].

وقد يكون عدم انتشار الوقف في المجتمع المسلم الإثيوبي راجعا إلى عدم استقرار تلك المجتمعات من الناحية السياسية حيث كانت تتصارع تلك المجتمعات التي تتركب من الدويلات والإمارات على الزعامة والرئاسة والحدود، كما أنها تتصارع مع جيرانها من أباطرة وملوك النصارى على مر العصور والتاريخ الطويل، ومع المعلوم أن بناء الحضارات التي من أبرز مظاهرها الوقف يحتاج إلى حياة الاستقرار والعمران والتمدن والتفرغ للبناء والتعمير والاستيطان والاستثمار، وأما حياة الحروب فهي كر وفر وحل وترحال واستعداد للهجوم، فلا يكون هناك تفكير جاد في بناء المجتمع على أسس سليمة متطابقة للشرع وما يندب إليه، زيادة على أنها لم تقم فيها دولة إسلامية قوية تتمتع باستقرار يبعث على العمل بأحكام الشريعة ونشر السنن، وقد قامت دويلات وإمارات فيما يسمى بالطراز الإسلامي وهي سبع ممالك تضم أقاليم كثيرة في القرن الإفريقي غلا أنها غير متماسكة بل هي متصارعة على حدودها الضيقة ومتنافسة تنافسا غير شريف[2].

وهناك نص مهم ذكره المؤرخون وهو:-

أن ممالك الطراز الإسلامي في الحبشة مع اتساع رقعتها وتنوع تلك المماليك وكثرة ووفرة خيراتها لا يعهد فيها المدارس ولا الربط مثل باقي الدول الإسلامية.

ويحتمل أن يكون هناك أوقاف من الأغنياء وملوك المسلمين في الحبشة إلا أنها اندثرت وذهبت مهب الرياح، حيث لم يكن هناك سجل يضبط الأمور، وقضاة يرعون الأوقاف ويحفظونها فيحصل استيلاء من ذوي النفوس الضعيفة على تلك الأملاك، ويؤيد هذا الاحتمال وجود بقايا من الأوقاف لم تندثر بعد حتى في خارج حدود إثيوبيا مثل أوقاف الجبرت بالمدينة النبوية ووقف أبا حفار بمكة — حرسهما الله — فبقيت تلك الأوقاف لوجود جهة رسمية تراقب الأوقاف، وهذا يقوي احتمال أن لهؤلاء المتبرعين أوقافا في موطنهم الأصلي غلا أنها اندثرت لعدم وجود المراقبة.

ويحتمل أن يعود اندثار الأوقاف في الحبشة إلى عدم تقيد الواقفين بأحكام الشريعة الغراء من جعل

---

(١) فتح الباري ٤٧/١٧ ط الحلبي كتاب الاعتصام.

(٢) أنظر الإسلام والحبشة عبر التاريخ لفتحي غيث ص ٨٨.

النظارة في أيدي جهة مستمرة، أو عدم التسجيل لدى القضاة، ويؤيد هذا الاحتمال أن كثيرا من الواقفين لا يعلنون عن وقفهم أمام الملأ إما تورعا أو جهلا بأحكام الوقف، ومن هنا نجد بعضهم يتراجع عن وقفه، أو يستولي عليه الورثة لعدم الشهود والإعلان، والله أعلم.

المبحث الثاني : أوقاف الحبشة في الخارج:-

إن للمسلمين في إثيوبيا آثارا باقية إلى اليوم من أوقافهم التي وقفوها في مكة والمدينة فمن ذلك:-

أ – أوقاف الجبرتيين:-

فهناك في المدينة النبوية عدة ربط كانت موقوفة على الجبرتيين أوقفها بعض الذين ترجع أصولهم إلى الجبرت، ولا تزال هذه الأوقاف إلى اليوم وقد تولى نظارتها الشيخ عبدالمجيد الجبرتي الجمي إمام المسجد النبوي والقاضي بالمحكمة العليا وأحد أعضاء هيئة كبار العلماء في المملكة الذي توفي في شوال عام ١٤١٨هـ رحمه الله تعالى ثم تولى الشيخ عبدالقادر بن عبدالحكيم الجبرتي الألابي أحد المهاجرين إلى المدينة المتوفي عام ١٤١٠هـ.

ثم تولى بعده الحاج يوسف بن عبدالرحمن الجبرتي الهرري وكان من زعماء المسلمين في الحبشة أيام هيلاسلاسي وعضو مجلس الشورى ثم هاجر أيام الشيوعية إلى السعودية، واستوطن المدينة وقد كان في صغره درس في المدينة بمدرسة العلوم الشرعية ثم رجع إلى البلد وقام بأعمال نافعة مثل المشاركة في تأسيس جمعية إسلامية أهلية وترجمة تفسير القرآن الكريم وغير ذلك، كما يتولاها في هذه الأيام ابن كمل الجبرتي، فهذه الأوقاف هي عبارة عن عدة عمائر سكنية يستفيد من غلتها الجبرتيون المقيمون في السعودية.

والملاحظ في هذا الامر أن الوقف في الأصل على الجبرتيين بالعموم بدون تخصيص، وقد أطلعت على كتاب مخطوط موقوف على الجبرتيين الذين يسكنون رباط الجبرتيين والواقف جبرتي من منطقة هرر، ومخطوط آخر واقفه من منطقة داوى في ولو، وقد اطلعت على هذه المخطوطات عندما قمت بفهرسة مكتبة الشيخ عبدالقادر الجبرتي – وفقه الله – وذلك بالحرة الشرقية بالمدينة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والتسليم.

وهذا الأمر يجعلنا نتسآل من هم الجبرتيون؟ وماهي أصولهم؟ وهل هم من قبيلة معينة تقطن في